الموسم

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

مجلة الموسم (العدد 17) – 1994 – 1414

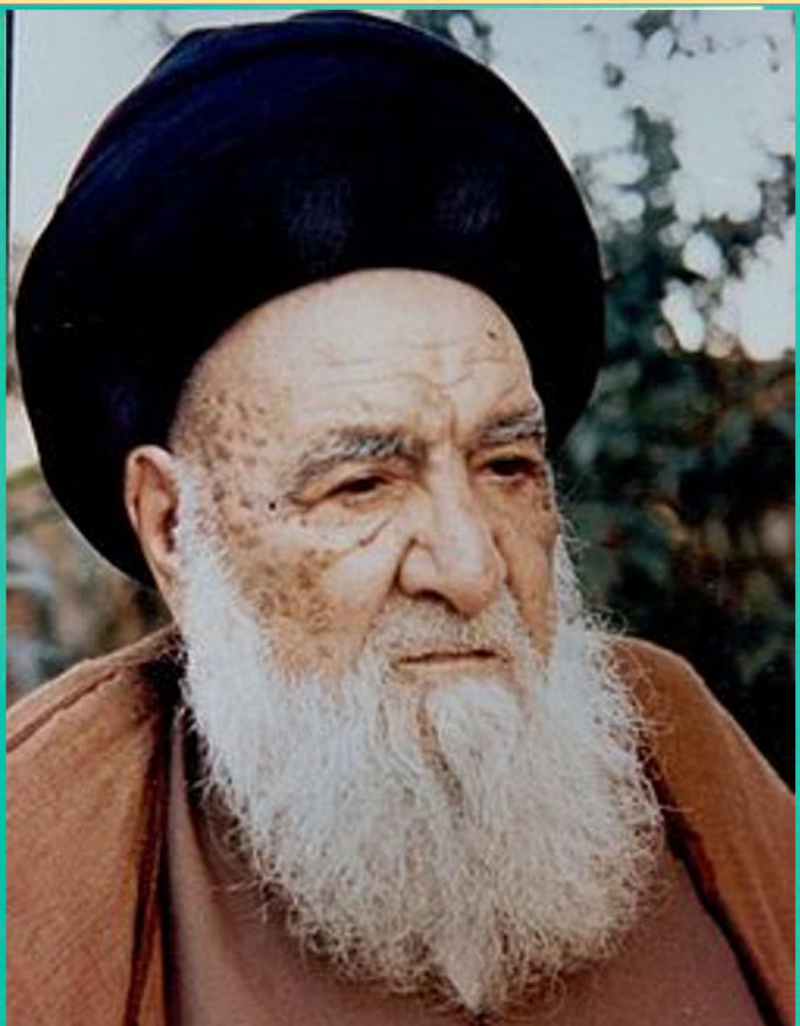

آرشيو مخطوطات
خزانة رخامي دار الحديث
٢١٢٣٠

الإصلاح

مجلة فصلية مصورة تعنى بالآثار والتراث

صاحبها ورئيس تحريرها

محمد سعيد الطريحي

Shiabooks.net

١٧

ترسل جميع المراسلات والطلبات باسم صاحب المجلة الى :

المركز الوثائقي لتراث اهل البيت عليهم السلام

اكاديمية الكوفة

«مؤسسة مسجلة في المملكة الهولندية»

KUFA ACADEMY
POST BUS 1113
3260 AC OUD - BEIJRLAND
[HOLLAND] - TEL, FAX: 01860 - 20712

الاشتراك السنوي ١٠٠ دولار امريكي

أفول الشمس

للشيخ عمار حسن الخضري
دمشق شهر الحج ١٤١٣ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الله أكبـــر كـــل حـــي للـــردى يمضـي الـوجـود علـى نظـام سـدد
مـا مـات مـن أحيـا تـراثـاً خـالـداً مهمـا يطـلْ عمـر الـزمـان يخلّـد

لقد شاءت قدرة المولى وهو الحكيم فيما يشاء ويفعل أن تختار إلى حزيرة القدس وإلى كنف الرحمة الربانية روحاً زكية طاهرة لنفس مؤمنة تعتبر علماً من أعلام هذا الزمان وركناً من أركان الإسلام ونجماً من نجوم الهداية والأمان إنها نفس زادها الله هدى وبسطة في العلم وأتاها تقواها، واختارها بحكمة لتكون ملاذاً للمؤمنين وكهفاً للاجئين إنها المرجع الأكبر وآية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئي قدس الله روحه الطاهرة.

أجل شاء اللطيف الخبير أن يسترد تلك الأمانة وهذه سنة الحياة ولا راد لقضائه وسنته فشقيت قلوب المؤمنين لفراق تلك النسمة المباركة وذلك الانسان الكبير الذي وسع صدره تلك الأمانة التي حملها إياه رب العالمين، وتغربت نفوس لفقد ذلك الحبيب الأمين والكهف الحصين الذي حفظ تلك النفوس من الضلال، وراحت المقل تهمي دمعها المدرار بل دماً على عظيمها الراحل تقلّه حفنة من المؤمنين وتشيعه صفوف الملائكة المقربين يحيط به الإكبار والإجلال.

كـــأنـــه جبـــل تمشـــي الـــرجـــال بـــه فانظر إلى النعش ما يحوي من الصلف
وانظـــر إلـــى صـــارم الاســـلام مغتمـــداً وانظـــر إلـــى درة الإســـلام فـــي الصـــدف

ولئن أجحف الزمن بحقه في خاتمة حياته فلم تفته عزة الله في البدء والختام لقد أحله الله سبحانه أعلى منزلة وأشرف رتبة لما أؤتمن عليه، ولما قام به من دور عظيم في قيادة المؤمنين والحفاظ على كيانهم وشؤونهم في أنحاء الأقطار الإسلامية.

ولقد عز على هذه الأمة المنكوبة بفقد راعيها العظيم أن ترى ديارها خالية موحشة ومنابرها معطلة، لقد كان رضوان الله عليه من المكانة المرموقة والمنزلة السامية من العلم والهدى والفضل فوق الوصف، لقد كان كبيراً في نفسه وأخلاقه وجده واجتهاده.

بدأ حياته كغيره سعياً وراء العلم فطأطأ له مجد العلم فقطف ثمار الاجتهاد في سن مبكرة وأصبح في الرعيل الأول من عمالقة الفقه والفكر والتدريس والتأليف وسار بركبه التوفيق والنجاح، فالتف حوله الجهابذة العلماء وأهل الفضل، وأوكلت إليه المهمات وسلمت إليه مقاليد الأمور من الأعارب والأعاجم، ثم خلت ساحة المرجعية له بعد وفاة السيد الحكيم رضوان الله عليه، فأصبح كهف المذهب وملاذ المؤمنين عامة، وسلمت إليه أزمة الأمور

ونعمت المشيئة الربانية في هذا الاختيار والتقدير ونعم الحكيم الخبير، فكان في جميع أموره وتقلباته مرآة صادقة تمثل أخلاق أهل البيت الطاهر وسيرتهم في العطاء والحفاظ على شيعتهم فيحق لنا أن نقول فيه ولسنا فعالين:

فقـــدت أرضنـــا أبـــا ووليـــاً كـــان يغـــدو بـــه الـــزمـــان زكيـــاً
خلقـــاً عـــاليـــاً ودينـــا كـــريمـــاً وصـــراطـــاً يهـــدي الأنـــام ســـويـــاً

لقد فقدنا إنساناً نحن أحوج ما نكون في هذا الزمن العصيب إلى إنسانيته النبيلة وعلمه وسياسته، فقدنا كهفاً حصيناً وأباً روحياً وتركنا حيارى حيال تلك الرزية التي عصفت بالمجتمع الإسلامي الشيعي حتى خبا فيه كل نور وتصدع منه كل ركن وحتى لم يعد للأفئدة نصيب من عزاء ولا صبر.

ســـألـــونـــا كيـــف نحـــن فقلنـــا مـــن هـــوى نجمـــه فكيـــف يكـــون

ـ لقد كان ـ رضوان الله عليه ـ مع جلالة قدره يحترم العلم والعلماء ويفيض عليهم مما أفاد الله عليه من المعرفة ويسهل عليهم سبيل التعلم ويشق لهم الطريق ويوضحه وينهج بهم المنهج السديد في النجف وغيرها وفي سائر الأقطار الاسلامية ويخط بيمينه ويسطر بمداده الذي هو أفضل من دماء الشهداء ما وسعه الجهد والزمن بالرد على أسئلة المتحيرين والمتفقهين عدا عما أودعه من مكنون علمه في صفحات الأوراق والمجلدات بحيث أورث الناهلين مورداً لا ينضب وكنزاً لا ينفذ:

نـــم أبـــا قـــاســـم أمينـــاً علـــى إرث مـــلأت الـــدنيـــا بـــه أسفـــاراً
طبـــت حيـــاً وطبـــت ميتـــاً وطـــابـــت بـــك دنيـــا مـــلأتهـــا آثـــاراً

ولم يقصر في أية معونة علمية أو نشر ثقافة اسلامية وكان يبذل لها الجهد والمال لتؤتي أكلها كل حين ما شاء لها الزمن أن تبقى وتمتد.

وكان مع جلالة قدره ومكانته يتواضع لمن يعلمه حتى أنبت في مزرعة التعليم علماء أبراراً مجتهدين ومن أهل الفضل والمعرفة كانوا له أجل ذكرى وأثر وكانوا للمسلمين ثروة ومدداً يعينهم على مشاكل الحياة للمستقبل البعيد.

الى جانب هذا وغيره نواح أخرى من الجهاد الكبير الذي قضى حياته فيه فقد كان جريئاً يطفح منه الوقار والرزانة شديداً في ذات الله لا تلين له قناة ولا يغريه مال ولا جاه فقد منحه الله أعظم جاه وسلطان. وكان بعيداً عن مباهج الدنيا همه الاصلاح وتأليف القلوب وجمع الكلمة بقدر ما وسعه إخلاصه وإيمانه وحبه للعمل.

صمد لتيار الأباطيل وكسر شوكة الأضاليل ووقف كالطود الراسي تجاه الزعازع التي كادت تودي بالمذهب بل بالدين كله، وظل يكافح وينافح تارة بالحكمة والموعظة الحسنة ومرة بصبره وركونه ورفيع أخلاقه يعاضده المصلحون المخلصون في النجف وغيرها مؤيداً بنصر الله وتوفيقه حتى اصطفاه الله الى جواره حميداً جميل الأثر طيب الذكر نقي الذيل قد قضى ما عليه.

تلك هي الحياة الخفة ولئن كانت الدنيا قد ضاقت عليه برحبها في آخر حياته فإن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر فله الأسوة بأجداده الأئمة عليهم السلام.

وإن رجلاً قد خصه الله بهذه العظمة ومنّ به على عباده لسعادتهم دنيا وآخرة لحريّ أن يقام عليه العزاء في كل مكان بل في قلب كل مسلم وفاء لبعض حقه، وكيف لا نأسف على فراقه ولا نبكيه دماً بدل الدموع وقد:

بكى الدين فيه الهدى والصلاح ... بكى فيه مفضا له الألمعي
بكته الدروس بكته الفروض ... بكتها المشاكل في المجمع
بكته الفضيلة ملتاعة ... تحن إلى عهده الممرع
أسيدنا والخطوب الجسام ... توكل بالسيد الأرفع
لعهدك بالقلب باق مقيم ... وبين الحنايا وفي الأضلع

يعيّرُ رجالُ زمانًا مضى
أرى الليلَ يجري بهم هادياً

وما لزمانٍ مضى من غيرٍ
وإنّ النهارَ علينا يكرّ

اهتمامهم بغير علم ضلال

١٤١١

ولم تحبسِ القطرَ عنا السما
فقل للذي ذمّ صرفَ الزمانِ

ولم تنكشف شمسُنا والقمرُ
ظلمتَ الزمانَ فذمّ البشرْ

من شعر وكلام الإمام علي (ع)